كلية اللغات والآداب والفنون

الأستـــــاذة : نعيمة بويغرومني

مســـــــلك : الدراسات العربية

الفـــصـل : السادس

الوحــدة : السرد المغربي الحديث

الأســدوس :الربيعي

الموسم الجامعي: 2021/2020

المحاضرة الثانية :

تكون السرد المغربي الحديث :

1 – نشأة وتطور الرواية المغربية

2 – نشأة وتطور القصة المغربية

2_ تكون السرد المغربي الحديث

حينما نتحدث عن السرد المغربي الحديث ، ينصرف اهتمامنا إلى الأجناس الأدبية التي ظهرت في العصر الحديث كالرواية والقصة كأشهر هذه الأجناس ، وأكثرها استئثارا باهتمام الباحثين والنقاد والرواة انفسهم فهما معا تنزعان الى تشكيل كيان نصي متجانس في ادبنا المغربي الحديث بحكم شروط النشأة والتطور المماثلة ،هذا فضلا عن كون معظم الروائيين هم كتاب قصة أيضا ، هذا فضلا عن كونهما اكتسبا اكثر من أي نوع ادبي آخر قدرة الانفتاح على الواقع وتحولات المجتمع على حد تعبير الناقد والروائي المغربي أحمد المديني .

فكيف تشكل هذان الجنسان الأدبيان بالمغرب ؟ هذا ما سنجيب عنه من خلال المحورين التاليين :

الأول هو الرواية المغربية : النشأة والتطور والثاني هو القصة المغربية : النشأة والتطور

أولا -الرواية المغربية : النشأة والتطور

يعتبر هذا الجنس الأدبي عموما حديث العهد بالمشهد الإبداعي المغربي، قياسا بالمشرق العربي، إذ تعود نصوصه الأولى إلى نصف قرن أو يزيد بقليل ، ومع ذلك ، استطاع أن يجد له موطأ قدم محترم ومكانة مقدرة تتجاوز بكثير ولادته المتأخرة ،فقد حقق الرواية تراكما نوعيا مهما وهي تحظى بمقروئية محترمة في المشهد الأدبي المغربي وعلى المستوى الدولي، تشهد على قيمة وحجم التي يحصدها روائيون المغاربة في الآونة المتأخرة الجوائز مقارنة بنظرائهم المشارقة .....(في كل من مصر والشام والعراق على وجه التحديد) ....

وعرفت هذه الرواية عدة مراحل فنية يمكن اختزالها في المراحل التالية:

1_ المرحلة التأسيسية : وتمتد من تاريخ صدور أول عمل روائي إلى 1967،تاريخ صدور رواية (جيل الظمأ)لمحمد علي الحبابي ، وقد انتجت لنا هذه المرحلة 28 نصا روائيا كما أكد على ذلك د عبد العالي بوطيب في كتابه(الرواية المغربية من التأسيس إلى التجريب)

على أنه إذا كان هناك شبه إجماع حول تاريخ نهاية هذه المرحلة التأسيسية ، فقد اختلف النقاد والروائيون والباحثون حول النشأة الحقيقية للرواية المغربية نظرا لتداخل عدة أجناس في أعمال هذه الفترة خصوصا أدب الرحلة والسيرة، فمنهم من ارجعها لسنة 1957،تاريخ صدور " في الطفولة "لعبد المجيد بن جلون، ومنهم من عاد إلى ما هو أبعد ووصلها ب"الزاوية" للتهامي الوزاني التي صدرت سنة 1942 أو "الرحلة المراكشية "لابن الموقت سنة 1924.

ومهما يكن من أمر نشأتها ، فالرواية المغربية لا يمكن أن تقارن، كميا، بمدارس روائية أخرى في المنطقة العربية أو على المستوى العالمي كونها عرفت تأخرا ملحوظا مقارنة بتاريخ ظهورهما معـــــا (الرواية في الشرق والغرب)،بل هو " تأخر مضاعف، جعل من الأعمال الروائية الشرقية والغربية نماذج تحتذى " عبد العالي بوطيب _الرواية المغربية من التأسيس إلى التجريب" ص 9، وفي هذا الصدد يقول الناقد والروائي أحمد مديني في كتابه في الأدب المغربي المعاصر ص 40:"بالنسبة للرواية المغربية تبدو الورطة أكبر، مادامت تمثل العطب المزدوج ،عطبها الخاص المتعلق بنشأتها ، وعطب تقليدها للرواية المشرقية التي قلدت بدورها رواية الغرب، المبدع الحقيقي، بلامنازع ، للرواية العصرية "

وضع ، يدعو للاعتقاد بأن تأخر الرواية العربية عموما والمغربية خصوصا ، أمر طبيعي تنحصر مبرراته في تخلف الشروط التاريخية الملائمة ويؤكده الغياب الفعلي للرواية في التراث القومي ،لهذا كان طبيعيا أن لا تخرج روايتنا المغربية يومها عن التقليد والمحاكاة لنماذج روائية مشرقية متجاوزة .....

وعليه، لم تحفظ لنا الذاكرة الثقافية الوطنية أكثر من خمسة عناوين ، وهي _ حسب تسلسلها الكرونولوجي_:الزاوية للتهامي الوزاني (1942)_____في الطفولة لعبد المجيد بن جلون (1957)_____سبعة أبواب لعبد الكريم غلاب (1965)_____دفنا الماضي لعبد الكريم غلاب (1966)____وجيل الظمأ لمحمد العزيز الحبابي (1967)

كلها أعمال ذات قيمة فنية تمثيلية كبيرة، جعلتها كفيلة بإعطائنا نظرة واضحة عن ملامح ومميزات الكتابة الروائية المغربية ، إذ فضلا عن الحرص البين على الكتابة باللغة العربية الفصيحة، دون تهجين أو تهـــــاون في المعايير اللغوية الضابطة. إيمانا بأن اللغة العربية تقع في مركز القيم الركائز للهوية القومية. بصمت الكتابات الروائية في هذه الفترة بثلاثة ملامح :

أول ملمح _ امتزاج الروائي بالسير الذاتي: بحيث لا يكاد يخلو نص من النصوص الخمسة من " بعض آثار هذا المكون الخاص على المستوى الحكائي ، وما موضوع 'في الطفولة " و" سبعة أبواب" إلا دليلا على ذلك " الرواية المغربية من التأسيس إلى التجريب ص 11، الأمر الذي يؤكده ذ محمد عزام:" الواقع أن معظم الروايات المغربية ، وعلى الخصوص روايات البدايات ، هي روايات سير ذاتية بشكل أو بآخر ، بحيث غالبا ما ينهل كاتبها من تجربته ، محاولا الاستفادة من ماضيه كما هو، أو محورا بصياغة فنية ، تختلف من كاتب لآخر" وعي العالم الروائي ، دراسات في الرواية المغربية .منشورات اتحاد الكتاب العرب 1990 ص 78

ظاهرة مع ما تستدعيه من بحث حولها و إدراك الأسباب الكامنة وراءها ، أهو مؤشر على ما يبصم البدايات ويطبعها من خلط أجناسي "ينم عن سوء فهم لخصوصية الكتابة الروائية أم إفرازا موضوعيا يرتبط بمعطيات المرحلة التاريخية المذكورة" المرجع السايق ص 11

وإن يكن ، فهي ليست ظاهرة قاصرة على بدايات الرواية المغربية فقط ، بل نجدها كذلك في البدايات الروائية الشرقية والغربية على حد سواء .

ثاني ملمح : حضور الآخر: والمقصود بالآخر/الغرب ، كطرف محوري في معادلة الصراع الحكائي ،وخير نموذجي في هذا السياق، مضمون سيرة " في الطفولة " لعبد المجيد بن جلون ففيها يتحدث الكاتب بضمير المتكلم عن طفولته، هادفا إلى إرضاء رغبة نفسية في تسجيل ذكرياته الحبيبة كطفل عاش في بيئتين متناقضتين : إنجلترا والمغرب" محمد عزام المرجع السابق ص 32

حضور تفرضه الخصوصية التاريخية لهذه المرحلة المعروفة وطنيا وقوميا بالمصادمات الحضارية وتنوع مظاهرها (الاستعمار ،المطالبة بالاستقلال، المثاقفة ، والتحدي الحضاري)وهو ما يجد مبرره في ذات الحين في الحضور القوي لهذه التيمة الحكائية في الروايات الحكائية المشرقية أيضا : " فالتساؤل عن علاقة الأنا _ العربي_ بالآخر_ الغربي _ تكاد تتلاحق بمستويات محتلفة منذ _ عصفور الشرق _إلى _قنديل أم هشام _إلى _الحي اللاتيني _ف_ موسم الهجرة إلى الشمال_ كأنضج وعي يطرح أنا _التحدي _في _ مقابل _ أنا _ الانبهار_ التي عبرت عنها الروايات السابقة "سعيد علوش _الواقع والمتخيل والمحتمل ضمن كتاب " الرواية العربية واقع وآفاق .ط1 ص203

ثالث ملمح : اعتماد قواعد الكتابة الكلاسيكية : تميزت ملامح الكتابة الروائية لهذه المرحلة بالاعتماد على مقومات الرواية الكلاسيكية ، "المعروفة بهيمنة الحكاية، والاهتمام الكلي بالحبكة الروائية، بالإضافة للمحافظة المطلقة على خطية السرد ، واعتماد السارد الكلي العرفة ن فضلا عن كثافة التدخلات المباشرة "الرواية المغربية من التأسيس إلى التجريب ص12

مقومات، لا تثير الغرابة في هذه المرجلة المبكرة ، لاعتبارين : حداثة الجنس الروائي من جهة، وثقل المسؤولية الملقاة على كاهل هؤلاء الرواد، لاسيما في خلو الساحة الروائية من تقاليد روائية قومية ...

لهذا ، فهذه المآخذ لا تنال من أهمية هذه الأعمال الروائية ولا تمس بقيمتها التاريخية الكبيرة.

2_ المرحلة الواقعية: تلت مرحلة الرواد والتأسيس ،فترة تعرف بين النقاد المغاربة بالمرحلة الواقعية، وهي تمتد من الاستقلال إلى سبعينات القرن العشرين. وتتميز من الناحية السياسية بحصول المغرب على الاستقلال سنة 1956.تأثرت الروايات المغربية لهذه المرحلة كثيرا بالمسائل و المخاضات السياسية والمجتمعية التي وسمت الدولة المغربية الحديثة الاستقلال، وصدام التقليدانية مع الحداثة إضافة إلى وصف المظاهر السلبية للمجتمع من ظلم وفقر وفساد وفقر وتخلف، خصوصا بعد الآمال العريضة التي علقها المغاربة على حدث الاستقلال ،والتي ظل معظمها معلقا أو في حكم المعلق للأسف الشديد (بفعل معطيات كثيرة ومتشابكة" المرجع السابق ص 13مما انعكس في صيغة إحباطات تسللت لدواخل الجماهير الشعبية العريضة...."فاحتدم الصراع المغربي/المغربي بين الفئات المستفيدة من الوضع الجديد ، والفئات المحرومة، خصوصا بعد انتهاء شروط التحالف الاستراتيجي المرحلي السابق ضد المستعمر الأجنبي....."المرجع السابق ص 14

إضافة إلى ذلك ، انعكس تأثير السياق الدولي والقضايا القومية (خصوصا القضية الفلسطينية) وما أحدثته الهزيمة النكراء لسنة 1967 من رجات نفسية وفكرية عنيفة في كيان الشعوب العربية، فضلا عن الصراع الإيديولوجي المشتد يومئذ بين المعسكر الشرقي والمعسكر الغربي

قلت ، إنعكس كل هذا وذاك على مسار الكتابة الأدبية المغربية عامة ، وعلى الرواية على وجه التحديد ..."يمكن القول إذن ، إن الإنجازات التي طالعتنا منذ بداية الستينات، تعتبر تمثيلا فنيا للقوى الاجتماعية المتعايشة في صراع يحتد تارة ، ويخبو أخرى .فالتناقضات التي أذكت ذلك الصراع على المستوى السياسي خاصة، كان لها انعكاس مباشر في الحقل الأدبي والفكري " إدريس الناقوري _المصطلح المشترك _ ص24

وهو ما كان له انعكاسا على الكتابة الروائية المغربية ، التي تفيأت بظلال الواقعية ، باعتبارها الاتجاه الإبداعي المناسب .....كما تعكس ذلك بوضوح أعمال كل من محمد زفزاف، عبد الكريم غلاب ،مبارك ربيع، محمد شكري

أعمال، تميزت من الناحية الفنية والفكرية بجملة من السمات نذكر منها :

" تكريس هيمنة السياسي على الثقافي _إعلاء الجوانب الفكرية على الفنية _ حضور القضية الفلسطينية _حضور التاريخ المغربي الحديث و المعاصر كتيمة روائية بارزة)على حد تعبير عبد العالي بوطيب)_ على مستوى التحرر من الخط البلاغي العربي الكلاسيكي و تبسيط لغة السرد مع حضور الدارجة في الحوار أحيانا .....

هذا طبعا ، مع استمرار حضور موضوعي السيرة الذاتية والآخر ، ولو بصيغة أقل.